الاتجاه الصوفي في التراث التفسيري الجزائري الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة المستغانمي نموذجا

أ د هدى حراق جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية .

الكلمات المفتاحية : ابن عليوة ، التفسير الإشاري ، التفسير الصوفي .

Keywords: ben Alioua, Indicative Interpretation, Sufi interpretation

الملخص بالعربية : يعد التفسير الإشاري ويسمى أيضا التفسير الصوفي أو التفسير الفيضي نوع من أنواع تفسير القرآن الكريم، ينتمي إلى نمط معين من الفهم ،وهو فهم المعاني التي قد لا تظهر لأول وهلة وإنما تحتاج لتدبر وتأمل، وهذه المعاني تكون من إشارات الآيات وتظهر لأرباب السلوك وأولي العلم.

ولقد اختلف العلماء في التفسير الإشاري، وتباينت فيه آراؤهم فمنهم من أجازه ومنهم من منعه، ومنه من عدّه من كمال الإيمان ومحض العرفان، ومنهم من اعتبره زيغا وضلالا وانحرافا عن دين الله تبارك وتعالى.

ثم إن الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة العلاوي المستغانمي يعد شخصية مثيرة للجدل، فقد اختلف فيه بين من يجعله من أهل العلم والعرفان، وصاحب مؤلفات كثيرة في تخصصات مختلفة، وبين من يعده رجلا أميا لا صلة له بالعلم فضلا عن أن يكون مفسرا.

Summary :The Sufi Trend in the Algerian Interpretive Heritage, Sheikh Ahmed Ben Moustafa Ben Alioua El-Mostaghanemi As a Model.

The Indicative Interpretation, also called the Sufi Interpretation or the "Faydhi interpretation", is a type of interpretation of the Holy Quran that belongs to a specific type of understanding, which is the understanding of meanings that may not appear at first sight, but rather need thought and contemplation. And these meanings are from the signs of the verses and appear to the masters of behavior and the people of knowledge.

The scholars differed in the Indicative interpretation, and their opinions contrasted in it, so some of them permitted it and some of them prohibited it, and some of them counted it as the perfection of faith and pure knowledge, and also among them who considered it as aberration, misguidance and deviation from the religion of Allah, the Blessed and Exalted.

Then, Sheikh Ahmed Ben Moustafa Ben Alioua El-Mostaghanemi is considered as controversial figure, as they differed about him between those who make him a scholar, and the author of many books in different disciplines, and those who consider him an illiterate man who has no connection to science, as well as being an interpreter.

تمهيد :

إن التفسير الإشاري ويسمى أيضا التفسير الصوفي أو التفسير الفيضي نوع من أنواع تفسير القرآن الكريم، ينتمي إلى نمط معين من الفهم ،وهو فهم المعاني التي قد لا تظهر لأول وهلة وإنما تحتاج لتدبر وتأمل، وهذه المعاني تكون من إشارات الآيات وتظهر لأرباب السلوك وأولي العلم.

ولقد اختلف العلماء في التفسير الإشاري، وتباينت فيه آراؤهم فمنهم من أجازه ومنهم من منعه، ومنه من عدّه من كمال الإيمان ومحض العرفان، ومنهم من اعتبره زيغا وضلالا وانحرافا عن دين الله تبارك وتعالى.

ثم إن الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة العلاوي المستغانمي يعد شخصية مثيرة للجدل، فقد اختلف فيه بين من يجعله من أهل العلم والعرفان، وصاحب مؤلفات كثيرة في تخصصات مختلفة، وبين من يعده رجلا أميا لا صلة له بالعلم فضلا عن أن يكون مفسرا.

لذلك أردت تناول هذا الاتجاه من التفسير عند هذه الشخصية بالذات، وبيان كيف تناول هذا النمط من التفسير وذلك ضمن ثلاث مباحث:

المبحث الأول : التفسير الصوفي واختلاف أهل العلم فيه، والشروط التي وضعوها لقبوله.

المبحث الثاني:ترجمة مختصرة الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة العلاوي المستغانمي، والجدل القائم حول شخصيته.

المبحث الثالث :نماذج من تفسير الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة المستغانمي دراسة وتقييم.

المبحث الأول : التفسير الصوفي واختلاف أهل العلم فيه، والشروط التي وضعوها لقبوله.

المطلب الأول : تعريف التفسير الصوفي .

التفسير الفيضي أو الإشاري كما عرفه الدكتور الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون هو:

(تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة

والتفسير الصوفي قسمان:

1) التفسير الصوفي النظري .

2) التفسير الصوفي الإشاري .

أما الفرق بينهما فهو:

أولا:

التفسير النظري : ينبني على مقدمات علمية تنقدح في ذهن الصوفي أولا ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك

أما **التفسير الإشاري** : فلا يرتكز على مقدمات علمية بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات هذه الإشارات القدسية وتنهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية.

ثانيا : أن التفسير الصوفي النظري : يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله الآية من المعاني وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل الآية عليه ، هذا بحسب طاقته طبعا.

أما التفسير الإشاري : فلا يرى الصوفي أنه كل ما يراد من الآية بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية ويراد منها أولا وقبل كل شيء وذلك هو المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره)[1].

المطلب الثاني : حكم التفسير الصوفي عند العلماء .

[1] انظر التفسير والمفسرون للذهبي 92/2.

لقد أثار كلٌّ من التفسير الصوفي الإشاري والتفسير الصوفي النّظري جدلًا كبيرًا في ساحة التفسير؛ حيث إنّ هناك من يرفض هذين النوعَيْن من التفسير جملةً وتفصيلًا، وهناك من يقبل الإشاري دون النظري[1]، ويجعل لذلك شروطا وتقييدات .

(و مما ينبغي أن يعلم أن المعاني الظاهرة للنص القرآني لا يشترط لمعرفتها أكثر من الجريان على اللسان العربي، وكل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي فليس من تفسير القرآن في شيء.. لا مما يستفاد منه ولا مما يستفاد به، ومن ادعى فيه ذلك فهو مبطل في دعواه.

أما المعنى الباطن، فلا يكفي فيه الجريان على اللسان العربي وحده، بل لابد فيه مع ذلك من نور يقذفه الله تعالى في قلب الإنسان يصير به نافذ البصيرة في التفكير، ومن هذا: أن التفسير الإشاري ليس أمرا خارجا عن مدلول اللغة، ولهذا اشترط العلماء لصحة هذا اللون من التفسير شرطين أساسيين:

أولهما: أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، بحيث يجرى على المقاصد العربية.

ثانيهما: أن يكون له شاهد نصا أو ظاهرا في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض.

أما الشرط الأول: فظاهر من قاعدة كون القرآن عربيا، فإنه لو كان له فهم لا يقتضيه كلام العرب لم يوصف بكونه عربيا، ولأنه مفهوم يلصق بالقرآن وليس في ألفاظه ولا في معانيه ما يدل عليه، وما كان كذلك فلا يصح أن ينسب إلى القرآن أصلا، ومن قال هذا فهو متقول على الله بالهوى والغرض.

وأما الشرط الثاني: فانه إذا لم يكن له شاهد في محل آخر، أو كان له معارض، صار مرر جملة الدعاوى التي تدعى على القرآن، والدعوة المجردة عن الدليل غير مقبولة باتفاق العلماء" [2] .

ومن ثم وبناء على ما سبق من الآراء يمكن تقرير الشروط التي يقبل بها التفسير الصوفي في العناصر الآتية:

---

[1] . بين التفسير الصوفي الإشاري والتفسير الصوفي النظري إبراهيم بنيحي .
https://tafsir.net/article/5372/byn-at-tfsyr-as-swfy-al-ishary-waltfsyr-as-swfy-an-nzry مركز تفسير للدراسات القرآنية .

[2] . انظر التفسير والمفسرون 97.96/2.

١ – ألا يكون التفسير الصوفي منافيا للظاهر من النظم القرآنى الكريم.

٢ – أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.

٣ – ألا يكون له معارض شرعي أو عقلى.

٤ – ألا يدعى أن التفسير الصوفي هو المراد وحده من الظاهر.

٥ – ألا يكون التأويل بعيدا لا يحتمله اللفظ فيه تلبيس على أفهام الناس.

فإذا توفرت هذه الشروط، وليس للتفسير ما ينافيه أو يعارضه من الأدلة الشرعية، جاز الأخذ به أو تركه، لأنه من قبيل الوجدانيات، والوجدانيات لا تقوم على دليل نظرى، وإنما هو أمر يبعث على تنمية المشاعر وتحصيل مكارم الأخلاق، فيجده الصوفي من نفسه ويسره بينه وبين ربه، فله أن يأخذ به أو يعمل بمقتضاه دون أن يلزم به أحدا من الناس، والأحرى ألا يسمى هذا اللون من الفهم تفسيرا وإنما يسمى ذكر النظير بالنظير الذي يعتبر صحيحا)[1].

قال ابن القيم في كتابه التبيان في أقسام القرآن: (وهذه الأقوال إن أريد أن اللفظ دل عليها وأنها هي المراد فغلط وإن أريد أنها أخذت من طريق الإشارة والقياس فأمرها قريب وتفسير الناس يحاور على ثلاثة أصول : تفسير على اللفظ وهو الذي ينحو إليه المتأخرون , وتفسير على المعنى وهو الذي يذكره السلف , وتفسير على الإشارة والقياس وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم وهذا لا بأس به بأربعة شرائط :

-1أن لا يناقض معنى الآية

-2وأن يكون معنى صحيحا في نفسه

-3وأن يكون في اللفظ إشعار به

-4وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم

[1]. المعجم الصوفي لمحمود عبد الرازق١/ ١٣٦ – ١٣٨.

– فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطا حسنا) [1] .

المبحث الثاني : ترجمة الشيخ أحمد بن عليوة المستغانمي و الجدل القائم حول شخصيته.

المطلب الأول : ترجمة الشيخ أحمد بن عليوة المستغانمي .

يعد الشيخ أحمد بن عليوة من الشخصيات التي ثار حولها الكثير من الجدل ، والكثير من المبالغة من الطرفين ، فجعله أحدهما أميا لا يحسن شيء فضلا عن أن يكون مفسرا وصاحب تصانيف كثيرة في فنون مختلفة، وبين من جعله عالما فذا وصاحب علم لدني لايشبهه أحد في زمانه ، فبين من عظمه إلى حد التقديس ، وبين من قزمه إلى حد التجهيل مفارقة عجيبة نحاول الوصول إلى حل وسط بين الطرفين من خلال هذا المبحث.

ترجم له عادل نويهض في كتابه معجم أعلام الجزائر فقال :

ابن عليوة (١٢٩١ – ١٣٥٣هـ / ١٨٧٤ – ١٩٣٤م)أحمد بن مصطفى بن محمد بن أحمد، المستغانمي، أبو العباس، الشهير بالعلوي. وبابن عليوة: متصوف، من أهل مستغانم، له زاوية فيها. زار أقطار المغرب الكبير، ثم دخل المشرق، وحج، وزار اسطنبول. وعاد الى مستغانم وتوفي بها. عرف بعدائه الصريح للحركة الإصلاحية الاسلامية بقيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. قال أحمد توفيق المدني في مذكراته وقد ذكر ابن عليوة: " لا أزال في حيرة من أمره ولن أزال، كيف تمكن من إنشاء طريقة صوفية وهو شبه أمي؟ وكيف كان له سلطان على الناس وهو لا يكاد يبين؟ "[2]) ثم ذكر بعد ذلك أهم المصنفات المنسوبة إليه ، ولم يعلق على كلام أحمد توفيق المدني لا بسلب ولا بإيجاب ، وكأنما ذكره في معرض التأكيد عليه فلم يذكر خلافه.

والشيخ هو أبو العباس أحمد بن مصطفى بن عليوة المعروف بالعلاوي المستغانمي مولدا ونشأة، ولد بمستغانم عام 1869 وتوفي بها سنة 1934، تعلم مبادئ الكتابة وسور من القرآن على يد والده الحاج مصطفى، الذي كان معلما للقرآن الكريم، فانتهى به الحفظ إلى سورة الرحمن، ثم

---

[1] . التبيان في أقسام القرآن ،ابن قيم الجوزية ص 49.

[2]. انظر معجم أعلام الجزائر عادل نويهض ص /367

اضطر إلى ممارسة التجارة ليعول عائلته خاصة بعد وفاة والده، وهو في سن مبكرة، إلا أن ذلك لم يمنعه من الانكباب على ملازمة الدروس ليلا رفقة جماعة من الطلبة في الفقه، والتوحيد، والتفسير على يد جماعة من مشايخ المدينة، إلى أن التقى بأستاذه الروحي الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي، فلازمه إلى أن وافته المنية سنة 1909،وكان قد قضى في صحبته نحو خمس عشرة سنة، فبويع بعده بالخلافة على رأس الطريقة الدرقاوية بمستغانم ونواحيها، حوالي عام 1909، وخلال بداية العقد الثاني من القرن العشرين، أسس الطريقة العلاوية، معلنا بذلك عن ميلاد طريقة روحية جديدة. فعمل خلال هذا الإطار إلى إبراز الزاوية في شكل يتلاءم ومستجدات العصر الحديث مع الحفاظ على دورها التربوي الروحي، فسارع إلى بناء زاوية جديدة تجمع جملة من المرافق من أجل تبليغ رسالته التربوية والاجتماعية كأقسام الدراسة والمطبعة والمخبزة، واستقطب إليها نخبة من العلماء في التفسير، والحديث، وأحكام الفقه، واللغة العربية[1].

بدأ الشيخ تعليمه على يد والده الذي أخذ عنه بعض الدروس ونصيبا من القرآن الكريم، حيث انتهى به الحفظ إلى سورة الرحمن، ولم يكن له أي نصيب في الدراسة المنتظمة ،فلم يدخل المدارس أو الكتاتيب، وهذا ما أقر به الشيخ في ترجمته لنفسه: "أما صناعة الكتابة فلم نتعاطاها ولا دخلت الكتاب ولا يوما واحدا إلا ما استفدته من أبي رحمه الله...وانتهى بي الحفظ في كتاب الله إلى سورة الرحمن...")[2] فترك الكتاب وانشغل بالعمل ولكنه لم يترك الطلب كما ذكرنا آنفا أنه لم يمنعه من الانكباب على ملازمة الدروس ليلا رفقة جماعة من الطلبة في الفقه، والتوحيد، والتفسير على يد جماعة من مشايخ المدينة. أما المرحلة التي تأتي بعدها حيث تفتق الذهن والتي يصفها

[1] . انظر ترجمته بالتفصيل في موقع جمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية على هذا الرابط
https://areq.net/m/%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A8%D9%86_%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%81%D9%89_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%88%D9%8A.html

[2] . الروضة السنية في المآثر العلوية، عدة بن يونس ط2 / المطبعة العلاوية بمستغانم ، الجزائر 1987، ص 20.

أتباعه بفيض من الله بالعلم اللدني فيقول عن نفسه : "..لكن ما تفتق ذهننا و توسعت معلوماتنا إلا بعد اشتغالنا بعلم القوم (التصوف). وصحبتنا لرجال الفن..") [1].

(أما معاصروه الجزائريون من أعضاء جمعية العلماء فقد أكدوا أن بن عليوة كان أميا، وأن ما نسب إليه من كتابات كان من إنشاء أتباعه) [2].

ومن باب الإنصاف وعدم الغلو في الخصومة فالرجل_ كما يظهر من كلامه ويتحدث عن نفسه أنه كان نديم مطالعة_ ليس أميا بالكلية ، لا يحسن القراءة والكتابة مطلقا، بل كان قارئا نهما، قد يستغرق في القراءة الليل كله، فأنىّ لأمي ذلك ،أما الكتابة فقد صرح أنها صناعة لم يتعاطاها، فلا يستبعد أنه كان يملي على بعض طلبته ، وقد وجد من أهل العلم من يملي على طلبته وإن كان يحسن الكتابة ، فالأمر ليس بمستبعد ، ولكن الغريب ما يصرح به معظم من ترجموا له _خاصة أتباعه ومناصروه _أن ما عنده من علم لم يكن باكتساب وتحصيل وإنما كان بفيض من الله على قلبه من العلم اللدني (الباطني) هذا ما يذكره خالد بن تونس _ حفيد عدة بن تونس _ في قوله : (رجل يقصد الشيخ أحمد بن عليوة _ نشأ في مدينة مستغانم في ظروف صعبة، ظروف الاحتلال والاضمحلال، حيث لا مدارس ولا جامعات، رجل انتهى من الحفظ في كتاب الله إلى سورة الرحمن فقط، لم يدخل الزيتونة ولا الأزهر، ولا القرويين، ليتعلم الفقه والفلسفة والتفسير وغيرها من العلوم، فعلى من أخذ ذلك يا ترى؟ من زوده بذلك؟ (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان)، فالله سبحانه وتعالى هو الذي علم الشيخ العلاوي البيان في جميع المعارف... يجب على الانسان أن يعلم أن هناك طريق يوصل إلى العلم كما أن هناك سلوكا يؤدي بالإنسان إلى الفهم، فالشيخ العلاوي مثلا لم يدرس الفلك مثلما درسه علماؤه بل درسه عن طريق باطني، فأعطى لهذه الدراسة خاصية حيرت الألباب...)[3]

---

[1] . الروضة السنية ص 21.

[2] . الحركة الوطنية الجزائرية، أبو القاسم سعد الله ،(1900-1930)، ط4 ، دار الغرب الإسلامي ،بتَوت 1992، 2/ 395.

[3] .كلمة الشيخ خالد بن تونس ، ملتقى التربية والمعرفة في مآثر الشيخ احمد بن مصطفى العلاوي ، جمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية ، المطبعة العلاوية بمستغانم ، 2002, ص 346.

ويمكن أن نلخص آراؤهم في هذه المسألة فيما يلي [1]:

- **القول الأول**:يرى بعض العلماء المعاصرين أن الكتب التي ألفها الشيخ أحمد بن المصطفى العلاوي، لا ترتبط به إلا من جهة نسبتها إليه فحسب، وهي في حقيقتها من كتابات بعض تلامذته، وحجتهم في ذلك أن الشيخ العلاوي لا يحسن القراءة، بل كان أميا، ولعل من هؤلاء العلماء الذين نفوا تدوين الكتب عنه الشيخ أحمد حماني (ت 1998م)، والشيخ نعيم النعيمي (ت (1973)وفي هذا الصدد قال أبو القاسم سعد الله : " ولكن بعض المعاصرين، أمثال الشيخ أحمد حماني والشيخ نعيم النعيمي رحمهم الله) ، يؤكدون على أن الشيخ كان (أميا)، وإنما أصحابه هم الذين كانوا يكتبون له وينشرون باسمه.

القول الثاني: يرى آخرون أن الشيخ كان متعلما، ونوهوا بالشيخ وتعلمه وطريقته في التصوف، ولعل من هؤلاء بلهاشمي ابن بكار (ت 1970م) وزكي محمد بن مجاهد(ت 1980) وغيرهم ، وقد ذكر أبو القاسم سعد الله ما نصه:" أما بعض المصادر الأخرى فقد نوهت بالشيخ وطريقته لا سيما (مجموع النسب) لابن بكار و (الأعلام الشرقية) لمحمد مجاهد و(الشيخ أحمد العلاوي) لمارتن لانغز.

"ومما أنكر على الشيخ في تصوفه القول ب" الحلول ووحدة الوجود" الذي قيل أنه أخذ به وروجه ، فوقع من أجله الصدام بين العلاويين وخصومهم من جمعية العلماء ، وسال فيه الكثير من المداد في الصحف والمجلات ، كما نسب للشيخ القول بالتثليث ولكن ليس التثليث الذي يؤمن به النصارى ، بل تثليث الأديان : الإسلام ، المسيحية واليهودية ، ويبدو أن الشيخ بن عليوة كان يبحث عن مذهب توقيفي بين الديانات السماوية الثلاث ، وهذا ما نستنتجه من قوله : " إن الله خص ثلاث رسل بوصية هم على التوالي : موسى وعيسى ومحمد، والإسلام أكمل العقائد لأن رسالته هي أحدث رسالة ، كما أن المسيحية واليهودية ديانتان منزلتان ..." [2] .

---

[1] . انظر جهود أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي في التفسير ، عويبدي حبيبي ، ص 87.

[2] _ مقال الشيخ أحمد بن عليوة المستغانمي1869-1934:مكانته الدينية والعلمية بين التعظيم والتقزيم)

ومن الذين أنكروا عليه وتفننوا في ذم صوفيته الشيخ أحمد حماني رحمه الله في كتابه " صراع بين البدعة والسنة ، إلا أنه مع ذلك اعترف بأن الشيخ بن عليوة كان يتوقد ذكاء ودهاء في معاملة الناس سواء كانوا من مريديه وأتباعه أو من خصومه ومقاومي طريقته .[1]

مؤلفاته في التفسير :

وللشيخ مؤلفات عديدة في مجالات مختلفة ولكننا سنذكر ما تعلق بالتفسير فقط لضرورة المقام .

ولكن القيمة العلمية لهذه المؤلفات أيضا لم تكن محل اتفاق بين العلماء، فقد اختلفوا فيها كما اختلفوا في الرجل .

_ البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور .

_ لباب العلم في تفسير سورة والنجم .

_ مفتاح علوم السر في تفسير سورة والعصر .

_ الأنموذج الفريد المشير لخالص التوحيد، ويسمى كذلك كتاب النقطة.

المبحث الثالث :نماذج من تفسير الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة المستغانمي دراسة وتقييم.

كما ذكرنا من قبل أن له عدة مؤلفات في علوم شتى ، والذي يعنينا بالدراسة هنا علم التفسير واخترنا أهم ما كتبه في التفسير وهو تفسيره الموسوم "بالبحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور" وهو من آخر ما أملاه الشيخ من كتبه سنة1933م ، ولم ينشر لا في حياته ولا في حياة خليفته.

ومن المعروف أن المؤلف لم يتمم هذا التفسير الذي ابتدأه بالبسملة وسورة الفاتحة ، وفسر فيه 207 آية الأولى من سورة البقرة انتهى فيه عند قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نفسه ابتغاء مرضاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ".كما في الكتاب المطبوع في المطبعة العلاوية بمستغانم .

[1] . صراع بين البدعة والسنة ، أحمد حماني ، دار البعث ، دت ، 164/1.

المطلب الأول : المنهجية العامة في تفسيره .

أولا : التمهيد والمقدمات[1] .

قدم لتفسيره بستة فصول عبارة عن مقدمات بين يدي تفسيره، تضمنت التنبيه على قضايا مهمة من وجهة نظره قبل الدخول في التفسير .

الفصل الأول : ما يفيد الإنسان أن القائم بالحق موجود في كل زمان ، وبين فيه وجود وبقاء من يفهم كتاب الله في كل زمان ومكان ، وعدم انقطاع الفهم عن الله في كتابه.

الفصل الثاني : عنون له بقوله "فيما يفيد أن للقرآن وجوها ، وأنه لا تنقضي عجائبه، حتى يستغنى بفهم المتقدمين منه ، عن فهم المتأخرين ، وبين فيه أن فهم المتقدمين لا يغني عن النظر في كتاب الله وفهمه عند المتأخرين، كما بين فيه أن للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا ، وأن الكثير من الناس يعلمون الظاهر من كتاب الله ، وأن العلماء بالله قد يعلمون الباطن منه ، وليس ذلك على سبيل الإجمال ، بل في كل آية من كتاب الله .

الفصل الثالث : عنون له بقوله " فيما يدل على أن في القرآن علوما ليست متعاطية فيما بين العموم ، والغرض منه بيان أن الله قد اختص بعض عباده بفهوم في كتاب الله.

والفصل الرابع: عنون له بقوله فيما يشعرنا نحن بأننا المقصودون بالقرآن ولا واحد أولى به من الآخر في كل زمان ، وغرضه بيان أن خطاب القرآن عام للمسلمين ، وليس مقصورا على زمن معين .

الفصل الخامس : فيما يشعرنا بتعلق سائر ألفاظ القرآن بالمكلفين في كل وقت وآن ، ومقصوده أن الأوامر والنواهي والترغيبات والترهيبات تخاطب كل مسلم بخصوصه .

[1] . انظر البحر المسجور 31.17/1.

الفصل السادس : يذكر فيه أهم شيء يعتبره الإنسان في كتاب الله أن يراه واصلا إليه من حضرة الرحمن، والغرض أن القرآن خطاب الله للإنسان فلا بد أن يحتفي به ويفهم عنه خطابه.

ثم شرع في تفسير البسملة والفاتحة وسورة البقرة وانتهى فيه عند قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نفسه ابتغاء مرضاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِه " الآية 207.

ثانيا : طريقته في ترتيب تفسيره.

اتبع في تفسيره أسلوبا ومنهجا مختلفا عرضه في قوله: "ظهر لي في ترتيبه أن نذكر شيئا من (التفسير) الذي هو المقصود العام من كتاب الله ، ثم نذكر (ما يستنبط من أحكامه وهو أخص مما قبله، ثم نأتي بشيء مما تتوسع فيه (الإشارة) على مصطلح أهل الله، ثم نذكر كلاما أخص منه، معبرا عنه بـ (لسان الروح) وهي أنهار أربعة تراهم (قد علم كل أناس مشربهم). [1]

فجعل تفسيره على أربعة مراتب ففي كل آية يتكلم عنها يبدأ كلامه بعنوان يعقده باسم (**التفسير**) ، ويبين فيه المعاني الظاهرة للآية بحسب اللغة ، ثم (**الاستنباط**)ويذكر فيه بعص الفوائد الخفية المتضمنة في الآية ، ثم **الإشارة** : ويذكر فيها بعض اللفتات الصوفية مما تؤخذ من الآية ولا تتعارض مع اللغة ، وقواعد الشريعة في الغالب ، ثم يختم **بلسان الروح** : ويتكلم فيه عن فيوضات روحية وتأملات صوفية ،ومعاني وجدانية وذوقية ، ليست متقيدة بأحكام اللغة ودلالاتها [2].

وقد نبه على ضرورة التزام هذا الترتيب في قراءة تفسيره ليسلم من الخطإ وسوء الفهم فقال : " فمن فمن أراد السلامة أن لا يشرع في هذا التفسير حتى يمر على فصوله حسب ترتيبها ، لأنها كالسلم لتلقي أسراره ".[3]

ثم طلب من قارئ تفسيره أن يحسن الظن ولا يقيس ما عنده على ما عند غيره مما فتح الله به عليه ، فإن الكثير مما ذكره في هذا التفسير فتح من الله وليس هو كسب فهو من علم الموهبة

---

[1] . ينظر البحر المسجور 13/1

[2] _ ينظر مثال ذلك تفسيره للبسملة .البحر المسجور 1/ 32وما بعدها .

[3] . ينظر البحر المسجور 13/1

وليس من علم الكسب، فهو مواهب لدنية ومعارف روحانية متلقاة عن الحضرة الإلاهية فقال :" وليتدرع بحسن الظن ما أمكنه، ولا يقيس ما يجد فيه على ما عنده، فإنه أبعد من التطابق، لأن كلام الروح يباين كلام البدن، فأكثره جاء بلسان الخصوصية الذي ليس لنا فيه كبير اكتساب إلا ماكان من قبيل التوجه والتلقي من حضرة الله، والمعنى أنه ليس هو من قبيل التكلف والتعسف وما أبرئ نفسي من التقصير ، ولا أنساها من وجود الخير والله بما تعملون خبير ". [1]

المطلب الثاني : مصادره في تفسيره .

استفاد المؤلف في تفسيره هذا من عدد من الكتب للأئمة وخاصة في قسم التمهيد منها، وأغلب هذه المصادر ذكرها مختصرة في عناوينها بإحالة مجملة كما هو المعهود في الإحالة في ذلك الوقت منها :

ـ فتح البيان في تفسير القرآن للشيخ إسماعيل حقي البُرسوي أحال إليه في الصفحة .15

ـ وأحال إلى ابن عبد البر في الصفحة 14 والصفحة 17والنص من كتابه جامع بيان العلم وفضله

ـ وأحال إلى السيوطي في الصفحة 30 والنص من كتاب الإتقان .

ـ وأحال إلى الجامع الصغير للسيوطي في الصفحة 15.

ـ وأحال إلى تاج التفاسير في الصفحة 17 وهو تفسير الإمام محمد عثمان الميرغني ، المسمى تاج التفاسير لكلام الملك الكبير .

أما في صلب التفسير، فلم يصرح بمصادره التي اعتمدها ولم يشر إليها ، إلا أنه تظهر استفادته من التفاسير المعروفة والمتداولة آنذاك في القطر الجزائري ، كالجلالين والبيضاوي والثعالبي ونحوها ، ويعلم ذلك بمقارنة كلامه بكتب التفاسير المعروفة ، وذلك في المرتبتين الأولى والثانية (التفسير والاستنباط) ، وهاتين المرتبتين ليس فيهما إشكال في الغالب، وإنما الإشكال يكون في مرتبتي الإشارة ولسان الروح، فالمرتبة الثالثة وهي(الإشارة) استفاد من تفاسير الصوفية كابن عربي

[1]. ينظر البحر المسجور 13/1

وغيره ، وأما المرتبة الرابعة (لسان الروح)، فقد اعتمد على تجربته الروحية الذوقية ، وجزء منه مستفاد من تفاسير الصوفية وعلى رأسها تفسير ابن عربي الصوفي [1].

الخلاصة والتقييم: ومما سبق يتضح أن قسما كبيرا من التفسير لا إشكال فيه ، وهو يمثل المرتبتين الأولى والثانية في كل آية (التفسير والاستنباط) ، وأما المرتبة الثالثة (الإشارة) فقد نجد كثيرا مما يقبل ويستلطف ويستملح وهو من اللطائف، وضابطه ما يتوافق مع قبول التفسير الإشاري من موافقته للغة وقواعد الشريعة إجمالا على ما ذكرنا في المبحث الأول من شروط في التفسير الإشاري .

وأما المرتبة الرابعة وهو مما يدخل في مسمى التفسير الصوفي النظري فهو مما نتوقف فيه ولا نستطيع الحكم عليه بقبول أو رد لأنه عبارة عن تجارب روحية وانطباعات وجدانية صيغت بعبارات صوفية إشارية ، لا يمكن الجزم بمعانيها إلا بمعرفة مقاصد صاحبها ومرامي كلامه، وهذه من الأحوال التي تسلم لصاحبها ، وهي عبارة عن تمثلات لصاحب التجربة مالم يكن فيه مخالفة صريحة للشرع وأحكامه على ما ذكره أهل التفسير من شروط في قبول مثل هذا أو رده .

نموذج من تفسيره في ما ذكره في مرتبتي الإشارة ولسان الروح في الكلام عن البسملة [2]:

(**الإشارة** : إن إلتصاق (الباء) باسم الجلالة مع أنها ليست من أبنيته، فيه ما يشعرنا بأن جميع ما في الوجود على اختلاف الحقائق وتباين الطرائق إلا وهو ملتصق (بالله)، ولا تفهم أنه مماس له فجلّ ربنا أن يماسسه شيء من الحوادث، وإذن لتلاشى الحادث لعدم ثبوته، مع من له وصف القدم، إنما نعني به التعلق والتحقق، والمعنى انه قائم بالله لا بنفسه، فوجوده مستعار من وجود موجده على حد ما قيل، من لا وجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه عين محال.

وأما استطالة الباء ، وخروجها عن مقتضى عادتها ، فليس ذلك إلا لاتصالها بالاسم، فالمتصل بالمسمى من أهل الله أولى بالإرتفاع عن أبناء جنسه. وأما نيابتها عن الألف المحذوفة من

---

[1] . ينظر البحر المسجور 61/1

[2] . انظر البحر المسجور 1/ 33 وما بعدها .

الاسم، تشير إلى نيابة الوارث المحمدي عن الله في خلقه (يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض) (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله) .

وأما مجيء البسملة في ذروة الكتاب وسنمه، يشير إلى ارتفاعه تعالى واستوائه على عرشه، ولما كان الإستواء على غير ما تفهمه العموم من الاحتواء ، بل هو موجود في كل فرد من أفراد الوجود ، جاءت البسملة على ذروة كل سورة طالت أم قصرت (وهو معكم أينما كنتم). ثم إن اندراج جميع ما في الكتاب تحت (بسم الله الرحمن الرحيم) على ما جاء في بعض الأثر، يشير إلى انطواء جميع الأشياء في وجود موجودها، والمعنى أن ما فيها مفرع عما فيه (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه)

وأما تقديم اسم الجلالة على غيره من أسماء الله الحسنى يشير إلى تخصيص الذات بالسابقية، وكمون الأسماء والصفات في حال الكنزية، وأول اسم جاء بالبيان الرحمن فاسال به خبيراً). ولهذا جاء وصفا لله في البسملة دون سائر الأسماء، ولولا سابقيته في الظهور لما حاز رتبة الاستيلاء (الرحمن على العرش استوى) فهو السابق من جهة الاستيلاء دون غيره من سائر الأسماء الجلالية والجمالية، وإليه الإشارة في بعض الأحاديث القدسية الذي معناها الرحمة سابقة للغضب. فباستواء (الرحمن) على الأكوان، تنعم الكافر وتمرد الشيطان.

وأما اسمه (الرحيم) فهو آخر التنزيلات، فأثره مستتر في آثار المخلوقات، وإليه الإشارة في الحديث : الرحيمون يرحمهم الله » « ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله»، فبرحيميته فيهم استوجبوا الشكر والشكر لله.

وأما كون الباء في البسملة تطلب متعلقا، وأنه فعل وأنه محذوف، فيه إشارة إلى طلب الصفة متعلقا يستوجب ظهورها، وأن ذلك المتعلق يكون فعلا للذات، غير أنه يكون محذوفا، أي مقدرا فلا وجود له في نفس الأمر مع موجده وهذا هو الفرق بين الوجودين، وهل يقدر مقدما أو مؤخرا ، فذلك باعتبار المتوجهين لله ؛ فالمستغرق عظمة الله لا يراه البتة، ولا يصفه لا بوجود ولا بعدم، فضلا عن أن يراه مقدما أو مؤخراً . وأما المحصل على رتبة الشعور فهو يقدره مؤخرا، لأنه يراه تعالى قبل رؤية الفعل، فيستدل بالله عليه، وأما السائر فلابد له من تقديره ورؤيته قبل رؤية فاعله ليتوصل به إليه وشتان بين من يستدل به وبين من يستدل عليه .

لسان الروح:

إن الضمير الساكن المفهوم من خفضة الباء المؤول في بعض الألسن على ما يقتضيه السر المصون : « بي كان ما كان، وبي يكون ما يكون» هو راجع للصفة الفعلية المعبر عنها بالقبضة النورية في السنة الصوفية، فهي القائلة لحضرة القدم والكنز المطلسم على لسان الباء للاسم الأعظم : « فبي اسم الله، فأنت أظهرتني كما أنا أظهرتك، فكما أنك رفعتني رفعتك ،وعرّفتني عرّفتك»، وأنشد لسان حالها قائلا: فلولاك ما كنا ولولا لم تكن * فكنت وكنا والحقيقة لا تدرى فإياك نعني بالمعزة والغنى * وإياي نعني بالفقير ولا فقرا فالقدير بالمقدور ،قادر والبصير بالمبصور باصر. وهكذا النظائر.

ولما كانت الافعال مظهراً للأسماء والصفات دون الذات. التصقت الباء باسم دون المسمى الذي هو الله، لتكون إشارتها عائدة عليه في الإظهار. وأما الذات فهي التي أوجبت لها الاضمار، لأنه تعالى ظاهر بذاته ما لم يعتبر الفعل، وإلا كان باطنا بذاته، ظاهرا بصفاته.

الخاتمة والتوصيات :وفي ختام هذه المداخلة نخلص إلى جملة من النتائج منها :

1_ مساهمة الجزائريين في الكتابة في التفسير الصوفي الإشاري .

2_ يعد ابن عليوة من أبرز المساهمين في التأليف في التفسير الصوفي في الجزائر .

3_ تعد شخصية ابن عليوة شخصية جدلية ، فوقعت بين غلو وإطراء من المغالين من الأتباع ، وبين التبخيس والتنقيص من المخالفين .

4_ ليس كل ما كتبه ابن عليوة في التفسير الصوفي مردودا، ففيه المقبول و المردود ، وفيه ما هو محل توقف ونظر .

5_ محاكمة التفاسير الصوفية باعتبارها أذواقا ومواجيد، وتجارب وجدانية إلى لغة العلم والمنطق قد يكون فيه حيف وظلم ، وحمل لها على غير مراد أصحابها.

6_ ضرورة تحسين الظن بالمسلمين عموما ، وأهل التصوف خصوصا ، وحمل كلامهم على أحسن المحامل ، والاعتبار بأحوالهم مع الشرع ، ووقوفهم مع الأمر والنهي، وهي طريقة المنصفين من العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ، وابن كثير وغيرهم .

7_ محاولة تجاوز الصراعات المذهبية التي كان يذكيها الاستعمار الفرنسي بين الإصلاحيين والطرقيين ، وقراءة تلك المرحلة بحيادية ، والاستفادة من جهود الجميع في خدمة الإسلام والأمة ، والمحافظة على ثوابت الامة ، وترسيخ اللحمة الوطنية .

التوصيات :

1_ نوصي الباحثين في مناهج التفسير بالعناية بهذا اللون من التفاسير ، ودراسة أعلامه ، وتقويم نتاجه، وخاصة في الجزائر .

2_ دراسة نقاط الاختلاف بين التفسير الأثري والتفسير الصوفي ، ومحاولة الخروج بآراء علمية وموضوعية فيها .

3_ مواصلة العناية بتراث ابن عليوة ، ودراسة مالم يدرس منه ، وطبعه طبعات محققة وموثقة ، ودراسته دراسة علمية أكاديمية .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.